حلم !!

أرقت ليلة حتى مطلع الفجر ثم داعبت أجفاني نسمة أرسلتها ملائكة الاحلام فغمرت رأسي وأثقلت أجفاني فانطبقت وشعرت بتخدير وخيل الى أن أمواج النوم تهزني بلطف وحنان.

بعد برهة من الزمن شعرت كأنني محمولة على هودج ذي أجنحة لامعة كالذهب طار بي فوق قصور العاصمة وخرج بي الى الوديان ثم اجتاز الرمال ومنها الى الجبال فحلق فوق قممها ثم طار فوق هاويات كانت تزمجر في أعماق العواصف ثم ارتفع شيئاً فشيئاً حتى اخترق الرياح والزوابع ومر بين زحام من الاقمار والكواكب والنجوم ثم اخترق عالماً من السحب والغيوم واجتاز منها الى ملكوت واسع منير هاو تسبح فيه الارواح ثم أبصرت تحتي جبلاً كبيراً عظيماً اكتست حواشيه بالعشب الاخضر وجوانبه بالرياحين وأعاليه بالورد والنرجس فانحدر الهودج متئداً وحط فوق الجبل أمام خيلة من البنفسج وما أشعر الا وصبية أجمل من ضياء الشمس وأحلى من صورة الحياة هرعت الى مرفرفه باجنحة من النرجس وهي تبتسم بأسطة نحوي ذراعيها الشفافتين وناداتني . ألا بادري فقد مللت الانتظار . عدة سنوات مضت وأنا هنا عند باب الروضة أنتظر قدومك . عدة سنوات انقرضت وأنا هنا احمل مفتاح الروضة أراقب الافق منتشة عن الهودج . عدة سنوات وأنا أبكي لبأسك وأتحسر لآلامك . فسيري واقتربي مني واتبعيني الى داخل سلطنتي

المنفردة اتبعيني إلى داخل فردوسي المنير الزاهر . سيري الى حيث تداوى جراحك وتقريح اجفانك . سيري الى حيث تطهرين من غبار الماضى المؤلم . . . فخرجت من هودجي السحرى ووقفت امام تلك الصبية الفاتنة وانا فى سهول لذيذ وبسطت يدى نحوها وصرخت بقوة ضلوعى قائلة :-

« ألا ياذات الجلال والعظمة والنور من أنت ومن تكونين »

فابتسمت برقة الطفل وقالت .

« أنا ربة القلوب أنا الهة الحب »

فسقطت عند قدميها وأخذت بثوبها الفضى الجميل وصحت قائلة :-

« ألا يا مطربة الارض والسماء أنقذينى . يا من ينبت النور من »
« أديمها النرجسى . يا من ينسكب من بين مراشفها إكسير الحياة »
« يامن تذيع للقلوب أسرار الخلود والغبطة . يامن ترقص بأناشيدها »
« قلوب الاكوان . يامن تسكر بسحر موسيقاها مهج الانبياء . يامن »
« تشمل أرواح البشر وتحرك سكان القبور . »
« تجاذبتنى خدع الحياة فانخدعت واسترقتنى بحلاوتها السامة »
« فتسممت وتخدرت . شعرت باليأس يلتهم مواكب آمالى وبالاحزان »
« تدمر بعولها الاسود خمائل أفراحى . أغنى باكية وأتبسم متنهدة وأغرد »
« فاملأ قلوب الناس طرباً مع ان أغاريدى تجيب مملوء بالانين . هم يسمعون »
« وأنا لا اسمع إلا أصوات العويل والبكاء من أعماق نفسى . هم يتفكهون »
« بالمضحكات وانا لا اتفكه إلا بالغصات والحسرات »
« لقد ظلمتنى الحياة فانصفينى . وابكمتنى المصائب فانطقينى . واتعستنى »
مكائد الناس فاسعدينى . وقتلتنى الخيانة فانصرينى على الخونة »

قالت :—

« ها أنا صعدت بك الي ثمة الجبل لتشرف من أعاليها على وديان »
« الحياة النضرة وتبصرى مناهل النور ومنابت الشفق والصباح . وها »
« أنت فوق الناحية فاطلى . افتحى جفنيك إمكانهما واطبعى ما تبصرين »
« واطبعى ما تشاهدين من المشاهد النضرة على صحيفة ذاكرتك أوعى »
« ما أقول فى فؤادك ثم احذرى من النسيان . »

« حملك إخلاصك من مهد الحنان وخرج بك من أحضان الامان »
« سار بك على الرمل واجتاز بك طريقاً كلها صخور واحجار الى وهاد »
« سحيقة جرداء . »

« قذف بك اخلاصك الى بطن غابة قديمة يابسة تسمعين فيها عواء »
« الذئاب وزمجرة العواصف . ترتدين فيها على مغارس الشوك وتتفذين »
« بأظفار شوهتها أظافر الحشرات »

« قذف بك اخلاصك الى بطن غابة قديمة مظلمة تسكنها الارواح »
« الشريرة وترفرف على دياجيرها أجنحة الشتاء »

« تظلين هكذا حتى تصل أصوات بكائك وعويلك اسماع آلهة »
« الحب فتشق سقف النابة وتنزل اليك كرسول أوفدته السماء لينتشلك »
« من عذابك الأليم ويطهر نفسك من أدران اخلاصك الفانى وينزع »
« من فكرك ثقتك العميقة العمياء »

« يهبط اليك ليحول دياجرك أنواراً وعويلك تغريداً ويهيء لك »
« حياة سعيدة ومستقبلا جميلا »

* * *

كنت فى نوم عميق فاستيقظت وكنت في غيبوبة محزنة فانتبهت وكنت في لجة من الظلمات فخرجت الى النور وكنت فى أحشاء الآلام فبرزت الى خمائل الحياة

كادت الدموع تغرقنى والزفرات تحرقنى والآلام تسحقنى والشقاء يمزقنى والتعاسة تذبحنى والصمت يرمسنى فهتف بى من وراء الأفق هاتف بصوت نقى ناعم وسكب فى سمعى أنشودة من أناشيد الأمل وبين ضلوعى قطرة من اكسير الحياة فانتفضت وتحركت وارتجفت وبسطت ساعدين كاد يشلهما الجمود وفركت جفنين كاد يطفئ نورهما البكاء ولامست الأمل وعانقت الحياة فهتافا لحياتى وتهليلا .

زينب صادق

شجرة الى ورد

— فى حديقتى شجرة ورد تتكلم

— يا عجبا كل العجب وهل تتكلم أشجار الورد

— على رسلك يا صديقة ولا تعجبى قبل ان أقضى اليك بقصة شجرتى :

ذهبت في أوائل سبتمبر الماضى الى حديقة صديقتى ... وسألتها أن تعطينى شجرة من أشجار الورد المعرش التى اشتهرت بها حديقتها لسرعة نموها وجمال براعمها . فوعدتنى بواحدة منها ولم نلبث حتى انجزت الوعد وبعثتها مع قيم البستان الذى حفر لها فى حديقتى حفرة عميقة عنى